

An interview with Ayoub Barzani Hawlati. 5/9/2008

هاولاتي : منذ تأسيس الدولة العراقية يعتبر موضوع كركوك حساس جدا وهناك خلافات حول التركيبة السكانية للمدينة، كيف يمكن حل الخلافات وبأية طريقة ؟

أيوب بارزاني : لقد تعثر وتأخر تشكيل دولة العراق من قبل بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى بسبب النزاع التركي البريطاني حول مصير كردستان الجنوبية. فقد أرادت تركيا إلحاق هذا الجزء من كردستان، وكانت معروفة تحت إسم (ولاية الموصل، ومؤلفة حسب التقسيم الإداري العثماني من مدن الموصل وكركوك وأربيل والسليمانية) الى إقليم الجزيرة الواقع تحت السيطرة التركية، لكن بسبب معرفة بريطانيا بوجود النفط بكميات كبيرة في كردستان، أصرت على إلحاقه بالعراق. واستخدمت بريطانيا وفرنسا (عصبة الأمم) لهذا الغرض. وحاول الجانبان التركي والبريطاني آنذاك التقرب من الأكراد والتكلم بإسمهم لتحقيق أهدافهم. ولم يطرح موضوع معرفة آراء الشعب الكوردي في الإستقلال، إنما حوَصر الشعب الكوردي في التعبير عن رأيه في الإنضمام الى تركيا أو الى الدولة الحديثة التي كانت قيد التشكيل، وأختار البريطانيون إطلاق إسم (العراق) عليها. والآن تأتي الأمم المتحدة وريثة (عصبة الأمم) لتجد أن المشكلة ولو في ظروف مختلفة لاتزال حيّة ولم تحل. لكن في هذه المرة هناك إقليم كردستان، والمسألة تتركز في إعدام فصل كركوك عن محيطها الطبيعي الكوردستاني أو إلحاقها ببغداد أو إبقائها كولاية مستقلة. وأيضاً كما حصل بعد الحرب الكونية الأولى، كانت إرادة الإحتلال البريطاني هي التي تصمم مستقبل الشعوب، نزي الإحتلال الحالي الثنائي (أمريكي - بريطاني) له دور كبير في رسم مقادير الشعوب التي تعيش في كردستان والعراق.

كركوك الغنية بالنفط ليست مسألة داخلية كما يحلو للبعض تسميتها، فهي مركز صراع هائل من أجل الطاقة [دولي: أمريكا، بريطانيا، فرنسا وألمانيا وروسيا] و[أقليمي: تركيا، إيران، سوريا، الأردن والكويت والمملكة العربية السعودية] و[محلي: تحالفات الكورد والإنتلافات الشيعية والسنية، التركمان والأشوروكلدان والأحزاب الإسلامية]. وأهم شيء في الوقت الراهن من الجانب الكوردي، هو تفادي عنصر العاطفة في تناول هذه القضية، فالرومانسية، لاتخدم قضية تتطلب وجود إرادة فاعلة في الساحة، بعيداً عن الشعر والخطب الحماسية. والحروب لاتتقرر نتائجها يوم إلتقاء الجيوش، إنما ماسبققتها من حشد الطاقات وتهيأة الشعوب للدفاع عن مصالحها الحيوية.

حالياً ينبغي اللجوء الى سلاح الدستور والإصرار على تطبيق المادة 140 . والقيام بحملة إعلامية واسعة في الداخل والخارج لتتوير العالم فيما يحصل من تجاوزات خطيرة تهدد توسيع رقعة الفوضى في الشرق الأوسط.

هاولاتي : الا تعتقد، نحن كأكراد، لايمكن ان نضع كل اللوم على الآخرين ؟ و ان القيادة الكوردية هي أيضاً تتحمل المسؤولية ؟

أيوب بارزاني: صحيح أن من العادات المدمرة لدينا هو أننا نلوم الغير وننسى أنفسنا ومسؤوليتنا في ديمومة معاناتنا. وبما أننا أصحاب القضية فمن البديهي أن تقع المسؤولية التاريخية أولاً على عاتقنا، أبناء البلد. هناك تواجد حزبي في كركوك، وهذا التواجد (حدك) و (أوك) دخلا في تنافس من أجل النفوذ في المدينة، الإستيلاء على الأراضي وتوزيعها وما يرافقها من محسوبية ومنسوبة وفساد مالي معروف.... ولم يتمكن قادة الحزبين في ظرف كركوك الراهن، فهم أن أي نفوذ يناله حزب ضد الآخر، لايمكن إلا أن يكون خسارة للقضية الأساسية. المنافسة الشريفة الديمقراطية هي التي تخدم قضية الشعب الكوردي وقد تكون ضماناً لمستقبله. لكن الحزبين الحاكمين لم يستوعبا ذلك للأسف، فليس صحيحاً التعامل مع سكنة مدينة كركوك مثلما يتعاملون مع المدن الأخرى الكوردية الواقعة تحت الحكم الحزبي. من أخطر الأمور في السياسة أنه عندما تواجه الأوطان المخاطر، وتتعامل النخبة الحاكمة مع السياسة بهدف الإرتزاق، أي جعل السياسة وسيلة للثراء، ينتج عنها دون

ريب خسارة أوطان.. إن الرصيد المعنوي للنخبة أو الشخصية الرئيسية للنخبة الحاكمة أمر في غاية الأهمية، ففي البلدان المتحضرة، عندما يتهم الرئيس أو رئيس الوزراء بقضايا الفساد المالي أو بخرق القوانين، يستقيل ويبتعد، وذلك لأنه لا يلقى أن يمثل شعبه ويدافع عن قضايا المصيرية. إن هذه نقطة ضعف في الجانب الكوردي في المحافل الدولية والأقليمية والمحلية.

لقد إنغمس قادة الحزبين الحاكمين في سياسة التوافق، هذه السياسة تطبق في بلد كلبنان، بين طوائف مختلفة ومتصارعة كما هو معروف، لكن في كردستان تمثل هذه السياسة ضربة قوية للحياة الديمقراطية وسد منافذ التغيير في مجتمع تزداد حاجته إلى الإنفتاح والتطور والشفافية. وهذه السياسة تهدف إلى إجهاض المجتمع الكوردي من نشوء قوى ديناميكية صاعدة. إن سكان كركوك يدركون المخاطر التي تنتظر المدينة وهويتها ومستقبلها، وكانت لعقود هدفاً للدمار الحكومي المنظم وللتنصيف العرقية وسياسة التعريب، وكانوا ينتظرون من الإدارة الكردية تفادي التوافق الحزبية والإرتفاع إلى مستوى خدمة مصالح الأمة الاستراتيجية العليا لينالوا تقدير وإحترام جميع سكنة المدينة من قوميات وطوائف دينية وعرقية. يبدو أن العقلية الحزبية لا تسمح بالخروج من إطارها الضيق، لأنها تمس بقاء النخبة الحاكمة الحالية التي تعمل كل شيء للبقاء في كرسي القيادة إلى أبد الأبد. يلعب الحزب دور العشيرة في المجتمع الكوردي الحالي، ونظرة فاحصة لماضي قيادة الحزبين تظهر دون شك قدرتها وعدم تردها في الدخول في "تحالفات مع العدو الأكثر شراسة" لضرب المنافس الكوردي، بدل التفاهم وإظهار روح الحوار الديمقراطي. بلا شك قلة الثقة الشعبية بالقيادة الكردية نتيجة ماضيها وحاضرها، عامل ضعف كبير في الصراع الحالي على مدينة كركوك الكردية مقابل الأطراف التي تريد إبعاد وفصل كركوك عن كردستان.

هاولاتي : في هذه المرحلة كيف ينبغي ان يتصرف الطرف الكوردي مع التركيبة السكانية الغير كوردية لهذه المدينة؟

أيوب بارزاني: أعتقد كانت هناك فرصة هامة لكي يثبت الكورد للسكان المسيحيين والعرب والتركماني الذين يعيشون في المدينة (كركوك) أنهم في تعاملهم مع هذه القوميات، هم أكثر حضارة وإنسانية من حكومات الدول التي تقسم كردستان وتتبع سياسة عنصرية مع الأمة الكوردية. كانت هنالك فرصة أن نميز أنفسنا عن الأنماط السائدة اليوم في الشرق الأوسط من المحتلين والحكام الطغاة الذين حكموا ويحتلون كردستان، ليس قولا وإنما فعلا. هذا للأسف لم يحصل..! أعتبر ذلك خطأ استراتيجي كبير قلص من مصداقية الكورد بشكل عام.

هاولاتي : هل الحضور الأمريكي هو في صالح الكورد ؟ الا تعتقد ان أخطاء وضعف الزعامة الكردية في العديد من المواقف جعل الأمريكيان يغيرون من نظرتهم إلى القضية الكوردية ؟

أيوب بارزاني : لقد إنعكست العقلية الحزبية للزعامة الكردية في طريقة التعامل مع الإدارة الأمريكية، فالأمريكان يشعرون بأهمية المصالح العائلية لدى الزعامة الكوردية، ومن هنا يستغلون نقطة الضعف هذه لتقديم أجنداتهم، ويعرفون كيف يتعاملون مع أفراد العائلات الحاكمة على أفراد وكسبهم. والأمريكان لا يلامون فلهم مصالحهم الجيوستراتيجية والهدف من الإحتلال هو الهيمنة على مصادر الطاقة في العالم، وهذا هو منطق الإمبراطورية. لقد إشتهرت الزعامة الكوردية في الماضي بجهلها في اللعبة الدبلوماسية وقلة تجربتها في السياسة العالمية. وقد أشار إلى ذلك كل من أرك رولو الفرنسي وجوناثان راندل الأمريكي، وليام أندرسون وگاريث ستانسفيلد، وهؤلاء على إطلاع بما يحصل وماحصل في الماضي ومتعاطفون مع الحقوق القومية للشعب الكوردي. فليست هناك ضمانات أمريكية مكتوبة للكورد حسب علمنا. القيادة الحالية هي جزء لا يتجزأ من القيادة القديمة التي لم تفهم السياسة الأمريكية خلال السبعينات من القرن الماضي، وهي نفس القيادة التي لم تعرف كيف تتفادى الوقوع في "لعبة التداول الدولية والأقليمية" ولم تعرف كيف تتعامل مع شاه إيران ولا مع إسرائيل. لا يزال المنطق القبلي يتحكم في أسلوب التعامل مع الخارج، إن الشعب الكوردي بحاجة ماسة إلى

تجديد عقلية قيادته ودخول العصر الحديث بجيل غير مشوب بعقلية قبلية وراثية مضى عهدها منذ زمن بعيد، وأنت بالكوارث لهذا الشعب المههد على الدوام.

هاولاتي : عدى الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني توجد أحزاب أخرى في الساحة، لكن من الواضح ان هناك تجاهل لدورها، الم يكن من الأجدى ان يكون للجماهير والأحزاب الصغيرة موقفاً واضحاً من أخطاء الزعامة الكردية ؟

أيوب بارزاني : إن الأحزاب الصغيرة التي تشارك الحزبين الحاكمين إسمياً في الإدارة الحالية تزن قليلاً في المعادلة المتعلقة بكركوك، فالجميع يعرف أن هذه الأحزاب مهددة بقطع المساعدات "الصدقات" عنها ، إن لم تنفذ التعليمات الصادرة من الزعامة الكردية... إن المنطق القبلي للقيادة الكردية لا يزال مرتبط بفكرة "البطل المنقذ" الذي سيعيد كركوك الى الوطن الأم، هناك منافسة حادة في هذا المجال، من هو "البطل" القادم ؟ فالزعامة الحالية تتوخى عمل شئيء ما لكركوك كي تلهي الجماهير عن فسادها وعدم أهليتها القيادية، لذا لا يمكن إعطاء دور "البطل المنقذ" للآخرين، هذا الدور هو حكر على أفراد محددين داخل دائرة العائلة الحاكمة. أما الجماهير الكردية التي فرضت عليها ثقافة الطاعة والإستسلام في العهد البعثي، وواصلت الزعامة الكردية الحالية تعزيز نفس الثقافة "ثقافة الإستسلام" يجب التشهير بها وتجفيف جذورها في مجتمعنا الحاضر.

تطلب الزعامة الحزبية من الجماهير الخروج في مظاهرات من أجل كركوك، لكن المتظاهرون في قرارة أنفسهم يتوقون بالخروج الى الشوارع منددين بالفساد المستشري والمزمن في قلب الزعامة الكردية وديكتاتوريتها، إضافة الى الدفاع عن كوردية مدينة كركوك. أما القيادة الحزبية فهي تحدد دور الجماهير الكردية في التظاهر وفق ما تحدده القيادة ، أي ليس للجماهير دور آخر غير تنفيذ أوامر السلطة... هنالك شلل في حركة الجمهور وتهميش دوره في قضية الديمقراطية والحريات العامة وحقوقه السياسية، لكن ما أن تحتاج السلطة الحالية إليه في علاقاتها مع بغداد، حتى تبادر الى إحضار الجمهور في تظاهرات للمطالبة بتنفيذ المادة 140 المتعلقة بمدينة كركوك. هنا نجد عنصر النفاق الطاعي في تعامل السلطة مع الشعب الكوردي.